

ذكرى مولد الرفاعي (*)

إليك سعى الأحبابُ والصحبُ يا جَدُّ يُحرقُهُم شوقٌ ويدفعهم وجدُّ
فجائبُ أضناها المسيرِ بأهلها

وطال بها التأويب^(١) والرمل^(٢) والوخد^(٣)

فما أقدَّ الساعي لأرضكِ نأيتها ولا أعجز الساعي على رجليه بعد
وذو الظمأ المشتاقُ لا يعرفُ الونى ولا الضعفَ حتى يستبينَ له الوردُ
نفوسٌ هي الإيمانُ والطهرُ أبلت يفيض بها حبٌ ويملؤها ود
وأفتدةٌ من كلِّ صوبٍ، تجمعتُ على طاعةِ الرحمنِ يُمسكها عهد
أتتكِ زرافاتٍ تغالبُ شوقها وجاء إليك الوفدُ يتبعه الوفدُ
وفي الساحةِ الكبرى أُقيمتِ منازلُ يُرى عندها الإكرامُ والخيرُ والوفدُ
خيامٌ لساداتٍ رفيعٍ عمادها يشبُّ إذا أمسوا لنيرانهم وَقَدُ
بها البذلُ للعافين^(٤) والزادُ والقِرى وليس لمن يعيشو إلى ضوئها رَدُ

* . * . * . * . *

(*) أقيمت في الليلة الختامية لمولد الرفاعي ١١ أغسطس / آب سنة ١٩٥٥.

(١) التأويب : السير طول النهار.

(٢) الرمل بفتح الميم : الهولة. وهي هنا ساكنة للضرورة.

(٣) الوخد : إسراع البعير وهو يرمي بقوائمه كالنعام.

(٤) العافون : الضيوف ، طالبوا الرزق.

وقبرك فيه الزهد والعلم يا جدُّ
وأخراك فيها مجمع الهدى والرشد
وغيث رفيع القدر ما انتظم اللحد
وفخر الألى في الله شفهم السهد
إلى كل ركن في المكارم تمتد
ومن ليس يعدوهم إلى سؤدد فرد
هم القوم عاشوا والزمان لهم عبد
كثير إذا نودوا، قليل إذا عدوا
تواضعهم جم، فضائلهم عدَّ

ضريحك مثوى البر والفضل والتقى
ودنياك كانت للأنام هدايةً
وفي الأرض من النبل يا جد والسنا
فيا فرع أسمى دوحه نبوية
ويا غصن أزكى سرحة^(١)
لأنت ابن من سادوا الأنام بدينهم
فلا تنزل العلياء إلا بدارهم
كراماً إذا أعطوا، شمس إذا بدوا
حسان سجايهم، جزيل سخاؤهم

* . * . * . * . *

مقيمين مذ ألوى^(٢) بصارمك الغمد
فآزره فالسوق^(٤) تنمو وتشتد
ولذ ثماراً عندها يُطلب الشهد
مناثر للارشاد أمجادها تلذ^(٥)
ومن يدهم في كل نائبة برد^(٦)
وكل كريم عنده يصدق الوعد
فزانوه إجلالاً وزانهم البرد
لمثلك يهدى الشعر والشكر والحمد

ويا أبتا، إنا على العهد لم نزل
غرسك لا غرسا فأخرج شطاه^(٣)
فأينع أزهاراً وطاب مجانياً
وأنت الذي شيدتها فرفعتها
من الباذلين الخير في ساحة
ومن صدقوا لله وعداً وموثقاً
ومن لبسوا برد الحنيفة طاهراً
فإن صغت فيك الشعر دُرّاً فإنما

(١) السرحة : الشجرة الطويلة، لا شوك فيها.

(٢) ألوى به : ذهب.

(٣) الشطاء : ما يحيط بالنبات كالأوراق أو اللحاء.

(٤) السوق : جمع الساق.

(٥) تلذ : بضم التاء وسكون اللام، بفتح فسكون، بفتح ففتح. ومثله تالد وتلاد وتلبد : الشيء كان

أو ولد في بيتك من قديم، وعكسه طارف وطريف.

(٦) برد : سكينه.